16-05-2022

من أجل عالم قابل للعيش

كلمتنا في حفل تسلّم ميدالية تيودور هُويْس

الجمهورية.نت

في فعالية على مدى يومين، تخلّلها حفلٌ في «القصر الجديد» في مدينة شتوتغارت، كرّمت مؤسسة تيودور هُويْس الألمانية مجموعة الجمهورية بميداليتها للديمقراطية وحقوق الإنسان لعام 2022.

ومنذ انطلاقها عام 1964، تعمل المؤسسة على صون ذخر تيودور هُويْس، الرئيس الألماني الفيدرالي الأول بعد الحرب العالمية الثانية، وتمنح سنوياً جائزة وميداليات لأفراد ومجموعات معنية بالدفاع عن الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان في أوروبا والعالم.

وقد كانت جائزة هذا العام من نصيب مؤسسة ميموريال الروسية، العاملة منذ عقود على حفظ الذاكرة الجمعية لضحايا الستالينية. وبالإضافة إلى الجمهورية، كانت ميداليات عام 2022 أيضاً من نصيب الصحفية الروسية أولغا رومانوفا؛ ومؤسسة إن إس يو واتش الألمانية المعنيّة برصد جرائم الكراهية؛ والقائمين على مسيرة الفخر البولندية- الألمانية (فرانكفورت- سلوبيشه).

وفيما يلي نصّ الكلمة التي شاركت بها الجمهورية في جلسة نقاشية سبقت حفل تسليم الجوائز،

تولّت قراءتها الزميلة نسرين الزهر، التي مثّلت الجمهورية في الفعاليات مع كرم نشار وياسين السويحة.

الزملاء والزميلات الأعزاء،

الحضور العزيز،

أشكركم على حضوركم، وأشكر القائمين على مؤسسة وجائزة تيودور هُويْس المرموقة على منحها لنا.

نعيش في اللحظة الراهنة أوقاتاً غير مسبوقة، ليس فقط بسبب العنف الهائل الذي نشهده والتوثيق الشامل لهذا العنف -وهو أمرٌ لا يُصدَّق كما نصفه دائماً-، ولكن أيضاً بسبب هذا الإفلات المُعمَّم من العقاب، وبسبب اللامبالاة الكاملة والتدمير الذي باتَ اعتيادياً.

إن مجرمي الحرب ومرتكبي الجرائم ضد الإنسانية يواصلون الظهور على قنوات التلفزة، كما تتم دعوة السياسيين من أصحاب خطاب الفاشية والكراهية إلى جميع المنصات. هذه الاعتيادية شديدة التدمير، لأنها تقضي على فكرة «العالَم» بوصفه مكاناً لمستقبلٍ ممكن، مكاناً لنظامٍ إيكولوجي يستطيع فيه البشر التبادل والتعلّم بالاستناد إلى ذاكرتهم، ويستطيعون فيه الازدهار وتَجنُّبَ الأسوأ.

إنه لأمرٌ مرعبٌ بالنسبة لسوري أن يرى الأوكرانيين وهم يحملون حيواتهم في أكياس بلاستيكية ويغادرون، أن يراهم ينصبون خياماً زرقاء في مخيماتٍ مؤقتة. هذا الديجافو شديد الغرابة والغروتيسكية إلى درجةٍ لا تُطاق، لأنه يبشر بـ«اللا عالَم»، بالأنوميا (اللامعيارية) التي تؤدي إلى تغريب الروح.

إن هذا الرعب المتكرر مقرف، والصفة الفرنسية (im-monde) موفقةٌ جداً في وصفه. يتم تعريض المُمكِن للخطر، فيغدو كلُّ شيءٍ مستحيلاً. نصحو من نومنا في بعض المرات مصابين بنوبات هلع، فنحمل خريطةً للكرة الأرضية لنرى أين يمكن لأطفالنا اللجوء مرةً أخرى، فلا نجد أي مكان. كل الأماكن مهددة ووثيقة الاتصال ببعضها بعضاً.

نعرف، نحن السوريون، الآثار الوخيمة لهذا التكرار المرضي، فتاريخنا المعاصر محكومٌ بقاعدةٍ واحدة: المجزرة. مثل التي حدثت في حي التضامن جنوبي دمشق، والتي

شاهدناها قبل أيامٍ قليلة بالصوت والصورة. يدفعنا هذا التكرار، مجزرةً إثر أخرى، إلى الجنون، وإلى العدمية واللامعنى. لا نريدُ «سَورَنَة» العالم بحسب تعبير ياسين الحاج صالح، فعالمٌ مُسورَن سيكون بالغ الخطورة.

إن لقاءنا اليوم تأسيسيٌّ على عدة مستويات؛ لأنه يعيد خلق بداياتٍ لـ«عالَمٍ» ممكن؛ عالَم من التبادل تستطيع الأطراف جميعها أن تساهم فيه.

نحاولُ في الجمهورية، ليس بوصفنا سوريين فقط ولكن قبل كل شيء كمجموعة وكمؤسسة، مقاومةَ انعدام المعنى الناتج عن تكرار العنف. حتى إننا كتبنا بياناً للدفاع عن التفاجؤ وعن براءة العالم المنقوشة في التفاجؤ، وضدَّ السينيكية. لم نشعر بالتعب، وكنّا قبل أيام أولَ منصةٍ ناطقةٍ بالعربية تنشر التحقيق المتعلق بمجزرة التضامن التي وقعت في أحد أحياء دمشق عام 2013، والتي بلغ عدد ضحاياها واحد وأربعين إنساناً. يعني الحفاظ على الغضب والاستياء في مواجهة الرعب أن هذا الرعب ينبغي أن يظلَّ غير مُتوقَّع، أن يبقى عرضياً وأن لا يكون هو القاعدة. ولكنّ هذا الغضب، وهذا التفاجؤ في مواجهة العدمية، يتطلبان جهوداً وإرادةً هائلةً للتغلب على التحريف والجنون وإنكار المذابح. إنّ التحريف وإنكار المذابح ينتصران فقط عندما يُطِلُّ التعب وانعدام المعنى برأسيهما.

أنتم، الزملاء والحضور والقائمون على المؤسسة، تشكلون «العالَم» لكونكم صدىً لأصواتنا من خلال اعترافكم بمهمّتنا وعملنا، وقبل كل شيء، من خلال إدراككم لتفاجؤنا من الحالة الراهنة للعالم. طقوس اليوم والجائزة هما بمثابة الإجابة بـ: «نعم، نحن نستمع إليكم. نعم، نحن في العالم ذاته. نعم، نفهمُ تفاجؤكم وسخطكم. نعم، نحن نعيش في العالم ذاته، وكذلك قلقون بشأنه». الاعتراف، كما صاغه الفيلسوف الألماني أكسل هونيث، هو ركن الديمقراطية الأول؛ الركن الأول من «العالَم». نحن وأنتم نؤسس لعالَمٍ ممكن.

شكراً مرة أخرى!